

# اجتهادات فضيلة المساومة

حُمِلَت كلمة المساومة بدلالةٍ سلبية لدى كثيرٍ من العرب لأسبابٍ تاريخية تعود إلى المرحلة الاستعمارية. حُكِمَ على السعى إلى اتفاقٍ جزئى مع سلطات الاحتلال فى تلك المرحلة بأنه تخاذلٌ وتفريط، وأحياناً خيانة. وكان لهذا الحكم ما يُبرِّره فى الحالات التى كان فيها من يُساومون المُستعمر مرتعشين أو مستعدين للتخلى عن حقوقٍ غير قابلة للتصرف. واستخدم بعضُ رافضى ذلك المنهج كلمة مساومة للتعبير عنه، فحُمِلَت الدلالة السلبية العامة التى قلت بعد ذلك ولكنها لم تنته.

تُخالفُ هذه الدلالة المعنى الاصطلاحي للكلمة فى المعاجم العربية، وتناقضُ ما يحدثُ فى كثير من مجالات التعامل بين الناس كل يوم. فالمساومة فى معجم المعانى الجامع مثلاً تعنى الأخذ والرد للاتفاق. ونجدُ تجليات هذا المعنى طول الوقت فى مفاوضاتٍ حول سعر سلعٍ أو خدمات، أو شروط عملٍ هنا وهناك، وغيرها.

والمساومة، على هذا النحو، هى ما يقومُ به المُفاوضون فى أى مجالٍ سعياً لتحقيق توافقٍ عبر الوصول إلى حلٍ وسط. وتكون

المساومة فضيلةً عندما يكونُ التفاوض بين طرفين متكافئين, أو بين طرفين أحدهما أضعف بحسابات موازين القوى المادية، ولكنه أقوى بوعيه وإيمانه بحقٍ يسعى إليه, فتكونُ قوته الأخلاقية مُعادلةً لقوة الثأني المادية، بل قد تزيد. فإذا لم يتوافر هذا أو ذاك، يتعذرُ اعتبار المساومة فضيلةً برغم أهميتها القصوى في بناء الديمقراطية والحفاظ عليها.

وكانت مفاوضات سقف الدين العام في واشنطن نموذجًا لمساومةٍ بين طرفين متكافئين تمامًا إلى حد أن تكافؤهما كاد يُفشل المفاوضات التي أُجريت في أجواء انقسامٍ حاد. ولكن الحكمة غلبت الانقسام مؤقتًا، فاستطاع من تحلوا بها في كلٍ من الطرفين إعلان بلوغ الاتفاق في آخر لحظة قبل أن يؤثر استمرارُ الخلاف في أسواق المال. ولا يُقللُ كثرةُ عدد معارضي الاتفاق قيمته، خاصةً في ضوء توقع أن يرفضه ممثلو يسار الحزب الديمقراطي، وأقصى يمين الحزب الجمهوري الذي يُعدُّ القاعدة الحزبية الأساسية للرئيس السابق دونالد ترامب.

وعندما صار مشروعُ الاتفاق قانونًا، ظهر واضحًا كيف تكونُ المساومةً فضيلةً في حالة التفاوض بين طرفين متكافئين.